لرأيته يا أشرف الخلق وإن لم يتأهل عزك لتلك الرؤية خاشعا أي
متذللا باكيا متصدعا أي متشققا غاية التشقق من خشية الله
أي من الخوف العظيم ممن له الكمال كله وهذا حث على تأمل مواعظ
القرآن وتدبر آياته وتلك الأمثال أي التي لا يفيها شيء نضربها
للناس لعلهم يتفكرون فيؤمنون والمعنى أنا لو أنزلنا هذا القرآن
على الجبل لا يخشع لوعده ويتصدع لوعيده وأنتم أيها المقهورون
بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده والغرض من
هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب هؤلاء الكفار وغلظ طباعهم
ونظيره ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لو أنزلنا هذا القرآن
يا محمد على جبل لما ثبت ولتصدع من نزوله عليه وقد أنزلناه عليك
وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه أن ثبته لما لم تثبت
عليه الجبال وقيل إنه خطاب للأمة وأن الله تعالى لو أنزل هذا
هذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله تعالى والإنسان
أقل قوة وأكثر ثباتا فهو يقوم بحقه إن أطاع ويقدر على رده إن
عصى لأنه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب ولما وصف تعالى
القرآن بالعظم ومعلوم أن عظم الصفة تابع لعظم الموصوف
أتبع ذلك بوصف عظمته تعالى فقال عز من قائل هو أي
الذي وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شيء
يستحق الوصف بهو غيره لأنه الموجود دائما أزلا وأبدا فهو حاضر
في كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس فلذلك تصدع الجبل
من خشيته ولما عبر عنه بأخص أسمائه أخبر عنه لما كان غائبا لا
لنا باسمه الذي هو مسمى الأسماء كلها بقوله تعالى الله أي

المعبود

المعبود الذي لا ينبغي العبادة والإلهية إلا له الذي لا إله إلا هو
فإنه لا يجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شيء
والإله أول اسم الله تعالى فلذلك لا يكون أحد مسلما إلا بتوحيده فهو حيه
نص وهو أساس كل فريضة عالم الغيب أي الذي غاب عن جميع
خلقه والشهادة أي وجد فكان يحسه ويطلع عليه بعض خلقه
وقال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما
يكون وقال سهل عالم بالآخرة والدنيا وقيل استوى في علمه
السر والعلانية والموجود والمعدوم وقوله تعالى هو الرحمن الرحيم
معناه ذو الرحمة ورحمة الله تعالى إرادته الخير والنعمة والإحسان
إلى خلقه وقيل إن رحمن أشد مبالغة من رحيم ولهذا قال هو
رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لأنه تعالى بإحسانه في الدنيا يعم المؤمن
والكافر وفي الآخرة يختص إنعامه وإحسانه بالمؤمنين هو الله
أي الذي لا يقدر على تعميم الرحمة لمن أراد وتخصيصها بمن شاء إلا هو
الذي لا إله أي لا معبود بحق إلا هو الملك فلا ملك في الحقيقة إلا
هو لأنه لا يحتاج إلى شيء لأنه مهما أراده كان فهو متصرف بالأمر والنهي في
جميع خلقه فهم تحت ملكه وقهره وإرادته القدوس أي البليغ في
النزاهة عن كل وصم يدركه حس أو يتصور لخيال أو يسبق إليه وهم
أو يختلج إليه ضمير ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس
رب الملائكة والروح السلام الذي سلم من النقائص وكل آفة تلحق
الخلق فهو بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم ووصف
به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص أو في إعطائه السلامة
المؤمن هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به عذابه
وقيل هو المصدق لرسله بإظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)